## المحاضرة رقم : 01

## مفهوم مهارات التعبير، ومقارنة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة

### ما هي مهارات التعبير ؟

هي سلوك جديد يجيب عن حاجة قديمة محسوسة:

- عند الطلبة الذين يكونون عادة عاجزين أو لم يستعدوا بما فيه الكفاية لمواجهة تمارين كالتقرير الشفوي أو الكتابي، أو عرض ما، أو تحليل نصوص أو إعداد محضر من المحاضر.

- عند المدرسين الذين غالبا ما تواجههم المشاكل حينما يتواصلون مع أقسام أو مجموعات عمل. إن مهارات التعبير تؤدي بنا أساسا إلى المعرفة والضبط والاستعمال الواعي لوسائل منحتها لنا ملكة اللغة للتعبير والتواصل.

### ❖تميز الكتابة: أسباب سموها على الشكل المنطوق

تشكل اللغة والكتابة نظامان من العلامات المتميزة. إن تمثيل الكلام هو العلة الوحيدة لوجود الكتابة، إن الكلمة المكتوبة لتمتزج بالكلمة المنطوقة -التي هي صورتها- بشكل حميم حتى أنها تستلب منها الدور الرئيسي.

تذهلنا -أولا- الصورة الخطية للكلمات كغرض مستمر ثابت، فهي أكثر قدرة من الصوت على تشكيل وحدة اللغة عبر الزمن ومهما يكن الرابط سطحيا في خلقه وحدة اصطناعية فإنه أسهل من الرابط الطبيعي والحقيقي: إنه الصوت.

---

[1] - نفس المصدر بتصرف.

-إن الانطباعات البصرية لدى معظم الأفراد هي أكثر دقة وديمومة من الانطباعات السمعية، ولهذا فإنهم يرتبطون بالانطباعات البصرية بشكل أفضل، والصورة الخطية تقضي إلى فرض نفسها على حساب الصوت.

-إن اللغة الأدبية تزيد للكتابة أهمية لا تستحقها إذ أن لها معجماتها وقواعدها كما أن التعلم لا يتم في المدرسة إلا بحسب الكتاب ونهجه، علاوة على ذلك يبدو أن الكتابة بمثابة قانون والحقيقة أنه قاعدة مكتوبة خاضعة لاستخدام صارم: إنه الرسم الخطي، وهذا ما يضفي على الكتابة أهمية أولية، إن الأمر ينتهي بنا لنسيان أننا نتعلم الكلام قبل تعلمنا الكتابة وبذلك تنقلب العلاقة الطبيعية رأسا على عقب.

-إذا ما حدث خلاف بين اللغة والرسم الخطي فإنه ليصعب دائما على غير اللغوي أن يجزم في النقاش، وبما أنه لا يحق للغوي نفسه التدخل في الموضوع، فالشكل الكتابي يسمو بشكل شبه قدري، إذ أن كل حل يستند إليه هو –في الواقع– أكثر سهولة، ولذا فإن الكتابة تمنح نفسها قياسا على هذا المبدأ أهمية ربما لا حق لها بها –كما قال دوصوسير–[1].

**+ مقارنة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة:**

إذا قارنا اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة فإننا نجد –لا محالة– فروقات هامة خاصة على: –المستوى الصوتي حيث تنعكس في الفونيمات، بينما نجد أن اللغة المكتوبة مشكلة من خطوط تدعى الكرافيمات في كلمة ما، ومثال ذلك قولنا: "هذا" فعدد الفونيمات مع الشكل أربعة: "هاذا" في حين أنها مع الكرافيمات –أي الحروف– ثلاثة مع العلم أننا نهمل في الكثير من الأحيان

[1] – محاضرات في الألسنية العامة، ص 40-41 ترجمة 1984 بتصرف.

الشكل في العربية لذلك يلجأ علماء اللغة إلى الكتابة الصوتية العالمية التي تعطي لكل صوت علامة.

-على المستوى النحوي التركيبي: هناك فروقات بين ما نكتب وما نقول، ومثال ذلك أننا نكتب: لم يقولوا، ونضع الألف للتعبير عن حذف النون التي عملت فيها أداة الجزم "لم" ولا نتفوه بها. كما هو الحال في الفرنسية حينما نقارن بين المكتوب والمنطوق فنجد مثلا: il rassemble في المفرد، وils rassemblent في الجمع فلا ننطق ent... وle chapeau في المفرد، les chapeaux في الجمع ولا ننطق x.

والملاحظ أيضا أن في اللغة المنطوقة استعمال:

- ألفاظ المحاكاة كثيرا وألفاظ التعجب مثل "آه"، أي "إخ" و"أح" و"أوف" و"بش" و"يوم" و...الخ.
- استعمال التكرار كثيرا.
- نستعمل بعض الجمل ولا نكملها وقد يختل التركيب فلا نعيره كبير اهتمام.
- ننهي كلامنا بجمل دخيلة أو ليس لها معنى.
- نهمل تصريف الأفعال كما يجب.

أما لغة الكتابة فهي أقل اقتصادا، ذلك أنك مضطر لاستحضار المقام بكل تفاصيله، ومن جملة ذلك: المتكلم والمستمع والأطراف المتدخلة في الحوار وجميع الشروط الفيزيقية والمادية والنفسية والاجتماعية للمشاركين في حدث التواصل، إن لغة الكتابة تحاول أن تضبط أكثر.

أما على مستوى التعبير: فاللغة المنطوقة تملك وسائل لا تملكها لغة الكتابة تأمل C.V. وC.N.V (التواصل الكلامي/ التواصل غير الكلامي). أما لغة الكتابة فتحتم عليك أن تذكر الزمان والمكان والأطراف المشاركة في

حدث التواصل فتعين اسمهم وجنسهم وأهميتهم، وكل حدث ارتكبوه في تواصلهم مع الغير، وتحاول أن تصف حركاتهم وسكناتهم الجسدية...الخ. فلغة الكتابة في هذا المستوى كذلك ليست اقتصادية.

ومن أمثلة ذلك ما تجده مسطورا في الروايات والقصص ولو كانت قصيرة، والمسرحيات -طالت أم قصرت- وسيناريوهات الأفلام التي تبرز ما خفي، وما أضمر في حدث التواصل من مرجع مادي يتصوره كاتب السيناريو، أو مفتش الشرطة أو أي محلل آخر.

والشاهد على أن لغة الكتابة أقل اقتصادا من اللغة المنطوقة التي قد لا نعير فيها كبير اهتمام لسياق الحال الذي قد نكون نحن بدورنا منغمسين فيه ونشكل أحد مكوناته، ما يمكن أن أنقله من قصة قصيرة للكاتب سعيد الريحاني تحت عنوان "لكل سماؤه":

"على الأفق الوردي، ترسو شمس المغيب باسطة -للتواصل مع الشاطئ- جسرا بلوريا يتلألأ على صفحة البحر الذي يداعب بأمواجه الخفيفة قدمي الطفل الحافيتين: يدفعهما بلطف حين يتقدم نحو الصخور ويسحبهما معه حين يتراجع إلى زرقته، يدفعهما ويسحبهما،...

سأل الطفل أباه مشيرا إلى البحر:

-أبي، أهنا تعيش القروش؟

أجاب الأب مطمئنا صغيره:

- نعم يا عزيزي، لكن بعيدا من هنا... هي تفضل المياه الدافئة في أعالي البحار.

- هي قوية !

- نعم: القرش هو ملك البحر...

- وهنا في البر، من ملك البر؟

- السبع، يا ولدي، السبع هو ملك البر والغاب.

- ومن الأقوى، السبع أم القرش؟

كان الطفل يبدو متحمسا للموضوع، ربما كان يتصور -أمام عينيه- كل سؤال وكل جواب قصة مصورة وينتصر لأحد شخوص الحكاية.

انتبه الأب للأمر فأجاب على السؤال بسؤال آخر:

-وكيف لأحدهما لأن يتفوق على الآخر وكل يعيش في مملكته؟ السبع في الغاب والقرش في البحر، وحتى إذا ما حاول الواحد منهما أن يغير على الآخر مات اختناقا، إما على التراب، إذا كان قرشا، أو داخل الماء إذا كان سبعا.

ابتسم الطفل راضيا ينظر إلى البحر بإكبار وسأل:

-وماذا هناك في البحر

-الحياة.

لم يفهم الطفل قصد أبيه فاستدرك الأب الموقف:

-يوجد في البحر نفس ما تراه على البر حولك: يا ولدي: الجبال والهضاب والوديان والأغوار والأشجار والأحجار والنباتات والضياء والظلام... إن الحياة هنا في البر، تقابلها حياة موازية في البحر، وحيوانات البر تقابلها كذلك أسماك في البحر.

-وهل تتسع كل هذه التضاريس والأحياء والأشياء داخل البحر؟

-ما يوجد في البحر أكبر حجما وأكثر تنوعا مما يوجد في البر.

ضيق الطفل عينيه وهو ينظر بعيدا إلى الأفق:

-ولكن سطح البحر هادئ بلا التواءات ولا رؤوس تطل من الماء !!!

-لا يغرنك السطح يا ولدي.

رفع الأب بكفه وجه طفله إلى الأعلى وقال له:

-هل ترى تلك القبة الزرقاء الهادئة؟

-السماء يا أبي؟

-تلك سماؤنا وسماء السباع، أما سطح البحر فهو سماء الأسماك والقروش.

ثم بعد فترة أضاف:

-إذا خرج البحريون عن سطح البحر –سماؤهم– اختنقوا وماتوا، وإذا نحن –البريون– أطللنا برؤوسنا خارج سمائنا احترقنا ومتنا !

ثم استطرد:

-لكل –يا ولدي– سماؤه، هناك أشكال من العوالم وأشكال من المخلوقات وأشكال من طرق التفكير وأشكال من سبل العيش... هناك اختلافات لا نهائية في هذه الحياة. وهذه الاختلافات هي سر الحياة الكبير ونبع غناها الأكبر، ولولاها ما كنا لنستمتع بهذه اللحظة وبهذه الوقفة على هذا الجمال الذي سيجعلنا نعود لبيت أكثر تجددا وأكثر سعادة.

كانت الشمس قد بدأت تسحب بساطها المضيء عن سطح البحر وتختفي رويدا رويدا في الأفق بين السماءين حيث شعت السعادة في جوارح الطفل وهو يعلن من وحي اللحظة الملهمة:

- الحياة رائعة، يا أبي !

-قالها وهو يضم يده إلى يد أبيه: الأب ينظر إلى السماء والطفل إلى البحر".[1]

---

[1] – محمد سعيد الريحاني: موسم الهجرة إلى أي مكان ص 13-14.

فلغة الكتابة –إذن– في هذا المستوى ليست اقتصادية إنها تذكر الأمكنة والأزمنة وأحوال الكائنات الجامدة والمتحركة فيها، خلاف ما تجده في تواصل شفوي حيث تجد نفسك في غنى عن ذكر ملابسات الأحوال هاته.

وعلامات الترقيم التي يشتمل عليها نص "لكل سماؤه" تحاول –بدورها– أن تنقل شيئا ما من تلوينات النطق، إنها تثبت ما يوجد من تواصل كلامي وتواصل غير كلامي يتجلى في النظام التطريزي ذو الطبيعة الصوتية أيضا.

إن أول ما يطالعك في هذه القصة هو لحظات الصمت التي يمثلها البياض بين الكلمات وهي أقصر اللحظات في تعبيرنا وتليها الفاصلة التي تعبر عن أخذ نفس أوسط لاستئناف الكلام بعده ثم تتخلل العارضتان سياق الكلام، لتدرك من خلال ذلك أن الكلام اكتسى صبغة أخرى تفسيرية أو تكميلية، ثم النقطتان اللتان تنبئان بدورهما عن بدء التفسير أو بدء القول، ثم لاحظ النقط الثلاثة المتتالية المرسومة بعد متوالية لفظية إشعارا بأن هناك كلاما مبتورا أو أن الكلام لم ينته بعد، وتتخلل النص في كثير من المواقع. ثم نجد الشرطة التي تشعر بالتحاور والتناوب في الكلام، وتفاجئك علامة الاستفهام بالحضور –وهي تمثل هنا تكرارا– ذلك أن الجملة التي فيها أداة استفهام تتجلى فيها تلك الوقفة غير المنتظرة مثل: – أبي، أهنا تعيش القروش؟

إلا أنه قد لا نحتاج إلى أداة استفهام في طي كلامنا ونستعمل بديلا للأداة تنغيما معينا، لذلك نحتاج أثناء الكتابة لعلامة الاستفهام ويكون حضورها ضروريا.

ثم تطالعك في هذا النص علامة التعجب التي ليست كسابقتها علامة الاستفهام تكرارا بل حضورها هنا ضروري لأنه تنغيمي فقط ينتمي لتلوين تطريزي لا غير ومثال ذلك قوله:

-هي قوية !

ومعناها حدوث انفعال في النفس وفي بعض الأحيان تكتب ثلاث مرات أو مرتان دليلا على التعجب والاستنكار مثل قوله:

-ولكن سطح البحر هادئ بلا نتوءات ولا رؤوس تطل من الماء !!!

ثم نجد نقطة النهاية وهي كثيرة تعبر عن وقف لأخذ نفس أطول من نفس الفاصلة. والفاصلة المنقوطة، وأثناءها يتم البحث في الذاكرة وتترتب الأفكار ويتبعها إصدار المتواليات اللفظية، وقد عرفها الغير بأنها تعبر عن كمال الإفادة، وقد تكون نهاية القول.

لم يستعمل الكاتب المزدوجتين في قصته ليدل بهما على أنه اقتبس من غيره أو استشهد أو استدل بقول الآخر، إلا أن المزدوجتين أطلتا علينا في البدء عند ذكر عنوان القصة فوضعه بين مزدوجتين. إن علامات ترقيم أخرى لم تظهر في النص مثل القوسين وقد عوضتهما العارضتان وأما الفاصلة المنقوطة فلم يكن لها محل في النص.